

الفصل الأول متى وُلِدَت الكنيسة؟ ق عزت شاكر

نعيش اليوم في زمن انقلبت فيه الموازين، واختلطت المفاهيم، ومن بين المصطلحات التي أسىء فهمها هذه الأيام كلمة "الكنيسة" وهذا ما يؤثر على أسلوب عبادتنا، ونظام خدمتنا. اليوم تسمع من يقول: أنا كنيستي "الإنجيلية"، وآخر يقول أنا كنيستي



"الأرثوذكسية" إلخ. ومن يقول أنا كنيستي في الشارع الفلاني، أو الحي الفلاني، وتسمع من يقول أنا ذاهب إلى كنيسة القس فلان أو الشيخ فلان... إلخ. وكأن الكنيسة مؤسسة إجتماعية، أو جمعية خيرية، أو مكان لالتقاء الأصدقاء والأحباء. فهل هذا هو المعنى الكتابي للكنيسة؟ هل الكنيسة مبنى أم رسالة؟ حوائط أم شعب؟ حظيرة أم رعية؟ ما هو المعنى الكتابي لكلمة كنيسة؟ ومتى وُلِدَت الكنيسة؟

دعونا قبل أن نُجيب على هذه الأسئلة أن نتحدث أولاً عن أصل ومصدر هذه الكلمة، وما هي المعاني المختلفة لإستخدامها في الكتاب المقدس.

أولاً: تاريخ استخدام الكلمة:

إن كلمة "كنيسة" في الأصل اليوناني هي *ἐκκλησία* "إكليسيا" وهي كلمة كانت مستخدمة من قبل كتابة العهد الجديد، وكانت تعني "جماعة" *Assembly* أو "اجتماع" *Meeting* أو "محفل" *Congregation*.

وفي القرن الخامس قبل الميلاد كانت هذه الكلمة تُستخدم لتشير إلى اجتماع مألوف من المواطنين القائمين على السياسة في المدينة. وفي "أثينا" كانت هذه

متى وُلدت الكنيسة؟ ٢

الكلمة تُستخدم للتعبير عن المحفل العام للشعب عندما يُدعى للاجتماع لسن شرائع البلاد ودستورها، وكان لكل عضو حق الكلام والاقترح للمناقشة، وكان القرار لا يصبح شرعياً إلا إذا صُوّت عليه، وأخذ أكبر عدد من الأصوات. والجدير بالملاحظة في استخدام هذه الكلمة هو الديمقراطية في اتخاذ القرارات، وحرية الرأي، وحق التصويت.

والكلمة " إكليسيا" تأتي من الفعل $\kappa\alpha\lambda\epsilon\omega$ الذى يعنى "دعا" والاسم هو دعوة. والمعنى هنا هو أن الكنيسة هي "الجماعة المدعوة" ونفس اللفظة تأتي من اليونانية (Kyriako) "كرياكو" أى "ما للرب" فالكنيسة بهذا المعنى الأخير هي "ما يملكه الرب". لقد قال يسوع للآب: "أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لى وقد حفظوا كلامك" (يو ١٧ : ٦).

ثانياً: كلمة كنيسة فى العهد القديم:



وقد تسأل: وهل وردت كلمة "كنيسة" فى العهد القديم؟ ألم تبدأ الكنيسة فى يوم الخمسين؟ أقول لك: إن الكنيسة وُجِدت منذ أن وُجِد الإنسان على الأرض. وتاريخ الكنيسة هو تاريخ تعاملات الله مع شعبه، وقد وصف استفانوس بنى إسرائيل عندما كانوا فى البرية بقيادة موسى بأنهم "الكنيسة فى البرية" (أع ٧ : ٣٨) وسنأتى لشرح هذه الفكرة بالتفصيل فى فصل قادم، أما ما يهمنى هنا فهو استخدام كلمة "كنيسة".

إن كلمة "كنيسة" اليونانية "إكليسيا" استُخدمت كترجمة للكلمة العبرية "قحال" وهى كلمة تأتي من فعل يعنى "يدعو للجماعة ولأعمالها" ويمكن أن تُترجم أيضاً "جماعة" أو "حشد"، ونادراً ما استُخدمت لدعوة الشعب للحرب. وعندما ننظر نظرة شاملة سنجد أن كلمة "قحال" العبرية استُخدمت فى العهد القديم للإشارة إلى جماعة

متى وُلدت الكنيسة؟ ٣

الرب المجتمعة لتسمع كلمة الله سواء فى سيناء (تث ٤ : ١) أو فى برية موآب إذ يقول: "فناطق موسى فى مسامع كل جماعة" قحال" إسرائيل بكلمات هذا النشيد" (تث ٣١ : ٣٠). وسواء اجتمعت الجماعة بقيادة موسى أو يشوع، "لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى ولم يقرأها يشوع قدام كل جماعة إسرائيل" (يش ٨ : ٣٥) راجع أيضاً (١ أخ ٢٨ : ٨ ، نج ٨ : ٢).

وعندما أُطلقت كلمة "قحال" على بنى إسرائيل كانت تعنى جماعة الله، أو الشعب

الذى دعاه يهوه، ودخل فى عهد معه على

جبل سيناء (تث ٩ : ١

، ١٠ : ٤) وارتبط

باسم يهوه (تث ٢٣ :

٢-٤) "لا يدخل ابن

زنى فى جماعة الرب

حتى الجيل العاشر، لا

يدخل منهم أحد فى

جماعة الرب. لا يدخل

عمونى، ولا موآبى، فى



جماعة الرب".

والكلمة "قحال" تشير إلى الجماعة التى ارتبطت بيهوه، ويقواعد ووصايا أعطاها

لهم، مثل الشريعة والناموس والطقوس (تث ٩ : ١ ، ١٠ : ٤ ، ٢٣ : ٣ ، عد ١٦ :

٣ ، ٢٠ : ٤ ، نج ٣ : ١) لذلك هى الجماعة التى تجتمع فى الهيكل (مز ٢٢ : ٢٣ ،

٨٩ : ٦) وتجتمع للعبادة وتقديم الذبائح، والله يدعوهم باستمرار لطاعته (٢ أخ ٢٠

: ٥ ، ٣٠ : ٣ ، مز ١٤٩ : ١).

وكلمة "قحال" تعنى أيضاً شعب الله المتحرك والمنتقل من مكان إلى آخر، وفى هذا

يقول الله لموسى: " اصنع لك بوقين من فضة مسحولين فيكونان لك لمناداة

الجماعة ولإرتحال المحلات" (عد ١٠ : ٢). وكلمة "الجماعة" هنا هى "قحال"

متى وُلدت الكنيسة؟ ٤

و "المناداة" هي الدعوة للعبادة والحركة والديناميكية، فهي جماعة لا تعرف الجمود ولا السكون ولا التوقف.

ثالثاً: كلمة كنيسة فى العهد الجديد:

إن تلاميذ المسيح وتابعيه لم يطلقوا على أنفسهم إطلاقاً كلمة (συναγωγή) "صوناجوجى" والتي تُترجم "مجمع"، فيما عدا (يع ٢ : ٢) ولم يكن يعقوب يتحدث عن الكنيسة بل عن الجماعة كجماعة، وذلك لأن كلمة "مجمع" لها جذور يهودية، وهى كلمة خاصة أُطلقت على الجماعة اليهودية بوصفهم جماعة دينية مركزها الناموس والذبائح.

هذا إلى جانب أن كلمة "صوناجوجى" لم تُستخدم لوصف الشركة المسيحية التي أصبح الإنجيل مركزها، وتحررت من الناموس، وأصبح الخلاص متاحاً لها من خلال الإيمان بالمسيح يسوع.



لقد استخدم الرسل كلمة (ἐκκλησία) "إكليسيا" "كنيسة" لأنها الأكثر ملائمة، ولأنها عودة إلى الكلمة العبرية "قحال" والتي تعنى كما ذكرت سابقاً

"شعب الله"، أو "الجماعة المدعوة" أو "ما يملكه الرب" فهي الجماعة المدعوة من العالم لتتنمى إلى الله وتعبده، وفي نفس الوقت المرسلّة إلى العالم لتخدمه وتشهد عنه، فهي مدعوة لتمارس علاقتها بالله وبالآخرين.

إن فكرة "الكنيسة" أدركتها الجماعة المسيحية الأولى مبكراً بعد أن أدركت أنها فى الموقف الاسخاتولوجى، وأنها الجماعة التي تتم فيها وعود العهد القديم، وأنهم إسرائيل الجديد، جماعة العهد، وأصبح معهوداً لهم إعلان الأخبار السارة للعالم أجمع وهنا أطلقوا على أنفسهم كلمة (ἐκκλησία) كنيسة.

متى وُلدت الكنيسة؟ ٥

وقد استخدم كتاب العهد الجديد كلمة (إكليسيا) للإشارة إلى جماعة المؤمنين المجتمعين معاً في مكان واحد للعبادة، مثل كنيسة كنخريا (رو ١٦ : ١)، لاودكية (كو ٤ : ١٦) والكنيسة في بيت أكيلابريسكلا (رو ١٦ : ٥) والكنيسة في بيت فليمون (فل ١٠).

واستُخدمت لوصف مجموعة كنائس محلية في مدينة واحدة، أو إقليم واحد مثل الكنيسة في أورشليم (أع ٩ : ٣١، ١٥ : ٤، ١ كو ١٦ : ١).

واستُخدمت للتعبير عن الكنيسة في مجموعها، أي كل المؤمنين في كل مكان وكل زمان، فيقول بولس "وهو رأس الجسد الكنيسة" (كو ١ : ١٨).



وبرغم هذه المعاني الثلاثة إلا أن نقطة الارتكاز في العهد الجديد هي على الكنيسة الواحدة الجامعة، فالكنيسة هي شعب الله الحقيقي، الجماعة المدعوة، مجتمع المسيا الاسخاتولوجي.

وعندما يتحدث العهد الجديد عن الكنيسة سواء في بيت، أو بلد، أو في إقليم معين، فما ذلك إلا مظهر للكنيسة الجامعة. والكنيسة الجامعة ليست مجرد مجموعة من الكنائس المحلية التي ارتبطت معاً فكونت كنيسة عامة، وإنما الكنيسة الجامعة هي الجماعة المدعوة معاً، وشعب الرب المختار. وعلى ذلك فالكنائس المحلية ليست وحدات مستقلة ليس لها صلة ببعضها البعض، وإنما الكنيسة المحلية تعتبر ممثلة لشعب الله كله في المنطقة الموجودة فيها، وممثلة للكنيسة الجامعة في ذلك المجتمع.

رابعاً: متى وُلدت الكنيسة؟

الكنيسة ليست مؤسسة أو هيئة أنشأها البشر، بل هي مؤسسة إلهية. وتاريخ الكنيسة هو تاريخ تعامل الله مع البشر. فلقد خلق الله الإنسان لنفسه، وغايته من خلق الإنسان

متى وُلدت الكنيسة؟ ٦

أن يكون لنفسه شعباً مقدساً غيراً في أعمال حسنة، فيكون لهم ويكونون له، ولم يكن الله يريد أن يختار شعباً من بين الشعوب، أو جماعة من بين كل العالم، لقد كان يريد أن يكون كل العالم له، وكل إنسان له، ولذلك خلق الإنسان على صورته، ووضع فيه من صفاته وقدراته، وأعطاه القدرة على الاتصال والتواصل ليكون في شركة دائمة معه، ولكن دخلت الخطية إلى العالم وشوهت صورة الله في الإنسان، وأفسدت العلاقة والشركة التي كانت بين الإنسان والله، جعلت الإنسان يختبئ من الله، ويهرب من محضره يقول مع آدم: "سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاخترت" (تك ٣ : ١٠).

وبالرغم من خطية الإنسان إلا أن الله استمر في خطته وأراد أن يكون لنفسه شعباً



مقدساً يستخدمه لإصلاح العالم الساقط، لذلك لا نجد في كل الكتاب المقدس عبارة تتكرر أكثر من عبارة "وأخذكم لى شعباً وأكون لكم إلهاً" (خر ٦ : ٧، لا ٢٦ : ١٢، إر ١١ : ٤، ٣٠ : ٢٢، خر ١١ : ٢٠)

وإلى آخر أصحاب في الكتاب المقدس حيث يقول يوحنا: "وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم" (رؤ ٢١ : ٣٢).

فالكنيسة هي الشعب الذي اختاره الله للخدمة، ليصلح به كل العالم، هي الجماعة المسئولة عن العالم لتخدمه وتصلحه وتحمل له رسالة المصالحة مع الله.

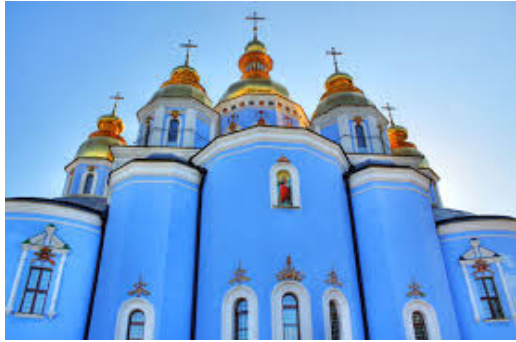
وترجع نشأة الكنيسة إلى طبيعة الله وقصده نحو البشر، لذلك فالكنيسة في قصد الله الأبدى، أن يخلق مجتمعاً من الناس يتجاوبون مع محبته، ويكونون في علاقة صحيحة الواحد مع الآخر. وبعد سقوط الإنسان في الخطية، لم يشأ الله أن يتركه للهلاك، فسعى إلى خلاصه، فاختر مجموعة من البشر ودخل في عهد معهم

متى وُلدت الكنيسة؟ ٧

"الكنيسة" ليبارك بهم العالم. فهي جماعة مختارة من العالم لتنتمى إلى الله وتعبده، وفي نفس الوقت مرسلّة إلى العالم لتخدمه وتحمل له رسالة المصالحة مع الله.

ويحدثنا الرسول بولس في الأصحاحات الثلاثة الأولى من رسالته إلى أهل أفسس عن قصد الله من نحو البشرية، ونشتّم في هذه المشيئة رائحة الفرح والسرور والرضى الإلهي، فيقول بولس: "مشيئة الله" (أف ١ : ١)، "مسرة مشيئته" (١ : ٥) "سر مشيئته"، "مسرته التي قصدها في نفسه" (١ : ٩). فما هي مسرة مشيئته؟

وهنا نكتشف أن بولس يتحدث عن الكنيسة في إطار قصد الله لكل العالم، فيقول: "اختارنا فيه قبل تأسيس العالم" (١ : ٤)، "فبعيننا للتبني بيسوع المسيح" (١ : ٥)، "معينين سابقاً حسب رأى مشيئته" (١ : ١١) وما هو هدف اختيار هذه الجماعة؟



يقول بولس: "لتدبير ملء الازمنة ليجمع كل شئ في المسيح..." (١ : ١٠)، والرائع هو أن كلمة تدبير اليونانية هي (οικονομία) (إيكونوميا)، وقد استُخدمت أول ما استُخدمت بمعنى إدارة البيت، وهي تأتي من الكلمة اليونانية (οικία) والتي تعنى (بيت)، وقد أطلق بولس على الكنيسة تشبيه "بيت الله" (οἰκεῖοι τοῦ θεοῦ) (أف ٢ : ١٩) فالله هو الذى يديرها ويقودها. ثم يتحدث بولس عن نفسه وعن كل مؤمن في المسيح قائلاً: "هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله ثم يُسأل في الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً" (١ كو ٤ : ٢٠).

متى وُلدت الكنيسة؟ ٨

" فإنه إن كنت أفعل هذا طوعاً فلي أجر، ولكن إن كان كرهاً فقد أستؤمنت على وكالة" (οικονομία) (١ كو ٩ : ١٧). وأرجو أن تلاحظ أن نفس الكلمة التي تُرجمت (تدبير) هي ذاتها تُرجمت (وكالة) و (وكلاء) (إيكونوميا).

والفكرة هنا هو ذلك البيت العظيم الذى يحكمه ويديره الله، وكل مؤمن وكيل على هذا البيت (لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل οικονομος الله) (تى ١ : ٧).

ونرى أيضاً الخطة العالمية (Cosmic Plan) التى تمتد لتشمل كل العالم (ليجمع كل شئ فى المسيح) وقد وضع المسيح هذا فى أمثال الملوكوت، فقد شبه الملوكوت بالخميرة الصغيرة التى خمرت العجين كله (مت ١٣ : ٣٣). وبحبة الخردل التى نمت وصارت شجرة كبيرة حتى أن طيور السماء كانت تتأوى فى أغصانها (مت ١٣ : ٣١-٣٢)، وبأمثال أخرى كثيرة (مت ٢٢ : ٩، لو ١٣ : ٢٩).

وهذه الخطة الإلهية للمصالحة لا تشمل فقط العلاقة بين الله والإنسان، بل أيضاً مصالحة كل شئ ما فى السموات، وما على الأرض، فيقول بولس: "وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبيه" (كو ١ : ٢٠). ونفس الفكرة نجدها فى (٢ كو ٥ : ١٧-٢١) حيث يذكر بولس أن الله قد صالحنا "ككنيسة" لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة، واضعاً فينا كلمة المصالحة.

ويقول *Haward Snyder* إن الخطة الإلهية لتكوين كنيسة ليست هى الخطة الثانية (Plan B)، فلا يجب أن نظن أن خطة الله لتكوين كنيسة جاءت نتيجة فشله فى الخليقة الأولى، وذلك لأن قصد الله الأبدى يسبق الإثنين معاً الخليقة والسقوط، وهذا ما يوضحه بولس قائلاً: "اخترنا فيه قبل تأسيس العالم" (أف ١ : ٤)، "فيه" أى فى المسيح. ويقول كاتب العبرانيين: "الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب ... " (عب ٩ : ١٤).

متى وُلدت الكنيسة؟ ٩

ويقول القس غبريال رزق الله: وكما أن المسيح موجود منذ الأزل، وفي المسيح نفهم أن الكنيسة هي في قصد الله قبل تأسيس العالم، ففي المسيح كانت الكنيسة منذ الأزل،



ولقد كان المسيح في تدبير الفداء العجيب رأساً للكنيسة ، وكانت هي أولاً قبل تكوينها فعلاً.

وهكذا نرى أن الكنيسة في قصد الله منذ الأزل، وقد وُجِدَت منذ أن وُجِدَ الإنسان على الأرض، هي شعب الله، جماعة

العهد، الجماعة المدعوة "قحال" في العهد القديم (εκκλησια) "اكليسيا" في العهد الجديد.

ويقول (*J. Hovlik*) في كتابه (*People - centred evangelism*) إن الكنيسة ليس مكان بل هي شعب، وليست حظيرة بل هي دائماً الرعية، وليست المبنى المقدس بل الجماعة المقدسة، هي أنت تصلى وليس أين تصلى.